في البداية نتساءل : هل على الإنسان أن يركن إلى الرضوخ للحاكم الظالم ؟ أم أن يثور على الظلم ويساعد في تحقيق العدل ورفع الظلم والقهر عن الإنسان الذي خلقه الله على صورته كشبهه ، الإنسان الذي تضمن له المواثيق والعهود الدولية حقوقاً يجب على أي حاكم أن يحترمها ؟ هل على الإنسان أن يستمع لصوت المؤسسة الدينية أم ينتصر للإنسان المظلوم والمقهور ، وهذه وصايا الله؟ كيف نفهم دعوة الكنيسة وهي تمنع شبابها من الانضمام للتظاهرات في ضوء ثورية عظماء أنبياء الكتاب المقدس كناثان النبي ، إيليا النبي ، يوحنا المعمدان ، وشخص المسيح ، والرسول بولس وغيرهم ؟

أليس دور الكنيسة روحياً ينحصر في إرشاد شعبها وتوجيهه في الإطار الروحي ؟ أم أنها أصبحت مؤسسة تعمل بالسياسة على غير دعوتها وطبيعتها ؟ .

في الحقيقة جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإجابة على هذه التساؤلات ، ولا نجد أمامنا إلا العودة إلى الكتاب المقدس ، والتاريخ الكنسي ، والبحث والتنقيب فيهما ، وما يثير التعجب هو أن الكتاب المقدس يستخدم ذات الكلمات التي تستخدمها الثورات والتظاهرات التي تُمهد لها ، هذا فضلاً عن الدعوة الكتابية الصريحة لمناهضة الظلم والقهر ، كما أن السيد المسيح كان زعيماً ثائراً استطاع أن يُغير الكثير من المفاهيم السائدة في عصره ، ومع أن أفكاره كانت بمثابة ثورة سلمية غيرت تاريخ البشرية ، إلا أنه حينما لطمه جندي أثناء محاكمته ، لم يقبل إهانة الجندي له وسأله : "*إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردي وإن حسناً فلماذا تضربني؟* "(يوحنا 18 :23) ، لقد كان المسيح شديد الحنو والرحمة أمام ضعف الإنسان وثائراً من أجل حقوقه وكرامته وخلاصه . وهذه هي الثورية الإيجابية .

ولابد في بداية حديثنا أن نُشير إلى بعض المصطلحات والتعريفات الهامة ، فلقد تردد في الآونة الأخيرة بعض العبارات والمصطلحات التي تحتاج لتعريف وتوضيح ، من هذه المصطلحات :

ـ **الاحتجاج :** هو طريقة للتعبير عن رأي جماعة أو حزب سياسي أو شخص ، ويكون عادة في منطقة ذات شهرة واسعة لإيصال الصوت إلى أغلب شرائح المجتمع .

ـ **الشغب :** هو شكل من أشكال الاضطرابات المدنية التي تتسم بها الجماعات غير المنظمة المنتقدة للسلطة في سلسلة متلاحقة ومفاجئة ومكثفة بعنف ضد الأشخاص أو الممتلكات . وغالباً ما تحدث أعمال الشغب كرد فعل على الظلم أو نتيجة لصراعات بين الأعراق والأديان أو نتيجة لحدث رياضي .

ـ **العصيان :** هو تعمد مخالفة قوانين وطلبات وأوامر محددة لحكومة أو قوة احتلال بغير اللجوء إلى العنف . وهو أحد الأساليب الأساسية للمقاومة السلمية . ويُعرف أيضاً أنه نوع من " التضامن في شكل خلاف محترم " .

ـ **الإضراب :** هو التوقف عن العمل بصورة مقصودة وجماعية وهدفه الضغط على رب العمل (والذي يمكن أن يكون هو الحكومة) من قبل العمال .

ـ **الانقلاب :** هو تغيير نظام الحكم عبر وسائل سلمية أو غير سلمية ، ويحدث عادة من داخل مؤسسة الحكم نفسها سواء كانت سياسية أو مدنية ، التي تحكم الدول .

ـ **الانتفاضة :** هي حركة شعبية واسعة بغرض مقاومة الاحتلال أو الظلم .

ـ **الثورة :** هي التغيير الذي يحدثه الشعب من خلال أدواته من خلال شخصيات تاريخية مثلا لتحقيق طموحاته لتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه الطموحات ولتنفيذ برنامج من المنجزات الثورية غير الاعتيادية .

ويأتي المعنى اللغوي لكلمة "الثورة" ، في اللغة العربية مشتقاً من تقليب الأرض الزراعية أي إثارتها ، كما تعني أيضاً الهيجان والوثوب ، وفي هذا الإطار تعني تثوير المجتمع وتقليبه ، أو هياج المجتمع والوثوب إلى قمة السلطة .

أما كلمة "الثورة" في اللغة اللاتينية فتأتي في الأصل من الدوران والانقلاب من وضع إلى آخر ، وقد شاع استخدام هذا المعنى بعدما أطلق العالم الفلكي كوبرنيكس (1473 - 1543) هذا الاصطلاح على الحركة الدائرة والمنتظمة والمشروعة للنجوم حول الشمس ، ولما كانت هذه الحركة لا تخضع لسيطرة الإنسان ولتحكمه فقد تضمنت الثورة معنى الحتمية ، أي أنه فوق مقدور البشر مقاومتها ، ولقد استعمل هذا الاصطلاح للدلالة على التغيرات المفاجئة والعميقة التي تحدث في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، حيث كان المعتاد استخدام تعبيرات أخرى مقابلة مثل : التمرد والعصيان والفتنة وغيرها ، ومع انتشار وتنوع استخدام الإنسان العصري لكلمة ثورة وإقرانها بمجالاته المختلفة يبقى الاستخدام والمعنى السياسي ماثلاً في الأذهان ومقترناً باستخدام كلمة "الثورة" .

ومهما تعددت أسباب الثورات إلا أنها تنحصر دائماً في أسباب سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، تدفع بالشعب للتذمر والغضب ، ثم الثورة ضد الأنظمة الحاكمة وإزاحتها لتحقيق العدل على أصعدته المختلفة ، وغالباً ما تمر الثورة بعدة مراحل متداخلة وصولاً لتحقيق قمة مطالب الثورة أولى هذه المراحل ، يبدأ بشعور الأغلبية المقهورة من الشعب باستغلال وتحكم واستبداد وظلم الأقلية الحاكمة ، ثم ينضج هذا الشعور ليتحول إلى تخطيط منظم بقيادات فاعلة تحرك المجتمع نحو عمل إيجابي قادر على أحداث التغيير المنشود من تنحية أو إقالة كل رموز النظام الفاسد ، ومتى نجح العمل الثوري ، لابد من إصدار التشريعات والقوانين والضوابط الكفيلة بتسليم السلطات إلى الشعب ، ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة النتائج أو الأشكال السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة التي أحدثها هذا العمل الثوري .

الاحتجاجات والثورة في الكتاب المقدس

في هذا المجال سوف نتناول ليس فقط الموقف التاريخي واللاهوتي للاحتجاجات والثورات عبر التاريخ الكتابي ، لكن سنعرض بعض الاصطلاحات الكتابية التي لها علاقة بالحركات الاحتجاجية والثورات ، كما سنتعرض لدراسة بعض الشخصيات الثورية ، والتي سجلت لها كلمة الله مواقف

قيادية واضحة لحركات الاحتجاج وقيادة الثورات ، سواء على الصعيد الأيدلوجي أو الفئوي أو الأخلاقي .... .

أولاً : مصطلحات كتابية

استخدم الكتاب المقدس العديد من المصطلحات الدالة على العمل الاحتجاجي والثوري ، منها :ـ

ـ **شغب :** لقد استخدمت هذه الكلمة في أكثر من موقع في الكتاب المقدس ، منها : ما يقوله أليهو لأيوب : إذا هو (الله) سكن فمن يشغب ؟ (أيوب 34 : 29) ، وفي العهد الجديد نجد أن رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ خشوا أن يمسكوا يسوع ويقتلوه في العيد لئلا يكون شغب في الشعب (متى 26 :5 ، مرقس 14 :2) . وقد حدث شغب ضد الرسول بولس بتحريض من ديمتريوس صانع هياكل فضة لأرطاميس (أعمال 19 :23 - 29 ، 20 :1) .

ـ **تذمر :** تشير الكلمة العبرية المترجمة عنها كلمة تذمر ومشتقاتها إلى الغمغمة المبهمة التي تصدر عن شخص ساخط ، وكل ما يعبر عن الغضب والسخط وعدم الرضى بالقول أو بالإشارة .

ويرتبط استخدام الكلمة في العهد القديم بشكوى بني إسرائيل وتذمرهم على الرب (خروج 16 : 7-12 ،9 ،عد 14:27 ، 17 :10) ، كما نقرأ في العهد الجديد عن تذمر اليهود ورؤسائهم على الرب يسوع وتلاميذه (لوقا 5 :30 ، يوحنا 6 :41) .

ـ **سجّس :** نقرأ أن الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا الأرض ، رجعوا وسجسوا عليه كل الجماعة بإشاعة المذمة على الأرض (عدد14 :36) .

كما أن اليهود غير المؤمنين في تسالونيكي ، اتخذوا رجالاً أشراراً من أهل السوق وتجمعوا وسجسوا المدينة (أعمال 17 :5) .

ـ **احتجاج :** هو مصطلح كتابي للتعبير عن الرأي والدفاع عن وجهة نظر مقابل أخرى ، وقد استخدم الرسول بولس هذا الاصطلاح في التعبير عن رأيه "*أيها الرجال الإخوة والآباء اسمعوا احتجاجي الآن لديكم* "(أعمال 22 :1) .

ـ **فتنة :** "فتنة" أو "مؤامرة" ، استخدمت هذه الكلمة تعبيراً عن محاولة الانقلاب التي قادها أبشالوم ضد أبيه الملك داود في محاولة للانقضاض على الحكم ، كما استخدمت هذه الكلمة للدلالة على حركات الفتنة والمؤامرات وأعمال الإثارة والشغب والقتل التي قامت بقيادة باراباس (مرقس7:15)

ـ **عصيان :** "عصيان" أو "تمرد" ، من الصفات التي وصفت بها مدينة أورشليم حيث قيل عنها المدينة المتمردة العاصية والمثيرة للفتن والمسيئة للملوك "أورشليم .. المدينة العاصية الرديئة .. أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد وقد عملوا عصياناً في وسطها منذ الأيام القديمة لذلك أخربت هذه المدينة " (عزرا 4 :12 ،15) .

ـ **مشاجرة :** جاء هذا المصطلح في رسالة يهوذا عن الذين انضموا إلى قورح في تمرده ضد موسى وهارون ، فقد كتب "ويل لهم لأنهم .. هلكوا في مشاجرة قورح" (يهوذا 1 :11) ، فقد قاد قورح ورفقاؤه تمرداً وعصياناً ضد موسى وهارون رغبة منهم في الإطاحة بهما من قيادة إسرائيل .

ثانياً : الاحتجاجات والثورة في التاريخ الكتابي

في الحقيقة مع تنوع الاحتجاجات والتظاهرات والثورات في التاريخ الكتابي من حيث دوافعها وأسبابها والموقف الإلهي والإنساني من كل منها ، يمكننا أن نتناول بعض هذه الاحتجاجات والتظاهرات والثورات كنماذج دراسية لبعض أنواعها ، ومنها :

ـ **الاحتجاجات والثورات الدينية :** وهي احتجاجات تقوم على خلفية دينية ، وذات مطالب أو أهداف لها علاقة بالدين ، وأولى هذه التظاهرات حدثت حين قام قورح وداثان وأبيرام ، ومعهم مئتان وخمسون من رؤساء الجماعة من اليهود بعد خروجهم من مصر، في محاولة منهم للإحاطة بموسى وهارون من قيادة الخدمة الكهنوتية ، تلك المحاولة التي كتب عنها يهوذا أنها "مشاجرة" ، حيث تجمهر المتظاهرون أمام موسى وهارون وقالوا لهما : "كفاكما ! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟" (عدد 16 : 3) .

ـ **الاحتجاجات والثورات السياسية :** وهذه الاحتجاجات تتخذ الطابع السياسي ، أي تهتم بما يخص الوطن والأرض وأنظمة الحكم المختلفة ، ومن هذه الاحتجاجات :

1) تذمرالشعب بسبب جواسيس أرض الموعد

حدث ذلك عندما شاع الجواسيس العشرة من مجموع الاثنى عشر ، أخباراً محبطة للشعب عن أرض الموعد وسكانها من حيث قوتهم وعظمة المكان مما لا طاقة لبني إسرائيل بهم ، وهذا تذمر على القائد أو الحاكم بسبب الخوف فقط من المغامرة وتعريض مصالح البلاد (أو الشعب) للخطر وسفك الدماء .

2)مظاهرة شعب شكيم وانقسام مملكة إسرائيل

هي المظاهرة أو الاحتجاج الذي صدر عن أسباط إسرائيل العشرة الشمالية ، وكان سببها الرد القاسي والمحبط الذي جاوبهم به رحبعام ملك إسرائيل ، حيث بايعه الشعب ملكاً خلفاً لسليمان ، وعندما طلبوا منه أن يخفف النير والضرائب والسخرة التي عانوا منها في أيام سليمان أبيه ، تجاهل طلباتهم المشروعة وأغلظ لهم القول . ونتيجة هذه الثورة انقسمت مملكة إسرائيل ، إلى مملكتين ، الأولى وهي التي قام شعبها بالثورة ، وسميت المملكة الشمالية ، وأصبحت عاصمتها مدينة شكيم ، وملكها يربعام بن نباط ، أما الثانية أطلق عليها المملكة الجنوبية وعاصمتها مدينة أورشليم ، وبقى رحبعام ملكاً عليها .

ـ الاحتجاجات والثورات العرقية أو الفئوية : وهي الاحتجاجات والثورات التي يغلب عليها الطابع القبلي أو الفئوي :

1)مظاهرة أهل بابل ضد نبوخذ نصر

يرد ذكر هذه المظاهرة في سفر دانيال (14 : 27) ، فبعدما كشف دانيال النبي للملك لغز اختفاء الأطعمة في معبد البعل وخداع الكهنة له بأن البعل يلتهم كميات ضخمة من لحوم الذبائح والخمر في حين يستولون هم وأسرهم عليها ، قام بتحطيم تمثاله وقتل كهنته الأشرار ، وكذلك تخليص أهل بابل بقتل التنين الذي كان يخافه البابليون ويقدمون له الذبائح كإله ، وقد هاج البعض وتجمعوا في مظاهرة صاخبة غاضبين :" *فلما سمع بذلك أهل بابل غضبوا جداً ، واجتمعوا على الملك ، وقالوا إن الملك صار يهودياً* " ، وهددوه بالقتل ما لم يسلم إليهم دانيال ، فسلمه إليهم حيث ألقوه في جب الأسود .

2)مظاهرة الجليليين في الهيكل

حدثت تلك المظاهرة حين أراد بيلاطس البنطي إقامة مشروع مائي ضخم في أورشليم لجلب الماء من خارج المدينة ، ولما كان المشروع سيتكلف كثيرا فإن بيلاطس طلب من القائمين على الهيكل مده بالأموال اللازمة ، إذ علم أن الهيكل هو أضخم خزانة في العالم ، ولكنهم امتنعوا قائلين :" *مال الأقداس للأقداس* " .

ولكن مستشاريه اليهود أعلموه أن ضريبة نصف الشاقل التي تُحصل عن كل رجل سنوياً ، يمكن استخدامها في المشروعات المماثلة ، غير أن المسؤولين اليهود ماطلوا في الاستجابة ، فما كان منه إلا أنه استولى على الأموال الآتية من بابل كتبرعات مرسلة من يهود الشتات هناك ، حيث اختطف جنوده تلك الصناديق من اليهود وادخلوها إلى قلعة انطونيا المجاورة للهيكل ، ولم تفلح احتجاجات اليهود في استردادها ، ولما أقيمت احتفالات الفصح لاحقاً ، قام اليهود داخل الهيكل بتمرد وهتفوا ضد بيلاطس والرومان ، ولما تمادوا طاردهم الجنود حتى المكان الذي تباع فيه الذبائح ، وقتلوا بعضاً منهم .

ولكن ما يعنينا هنا هو أن التظاهرة التي قام بها الجليليون كانت ذات طابع "عرقي" ، لأنه إن كان هدفهم وطنياً قومياً لكانوا فهموا أن مشروع بيلاطس يهدف إلى مصلحة البلاد .

3)مظاهرة للمطالبة بصلب السيد المسيح

لجأ الكثير من شعب اليهود إلى التظاهر وأعمال الشغب ليطالبوا بيلاطس بصلب المسيح ، وتبرئة باراباس ، وذلك بتحريض من رؤساء الكهنة والشيوخ ، وقد رأى البعض أن الفريسيين استخدموا سلاح الخطاب الديني والسياسي معاً في تحريك الشارع اليهودي ضد المسيح وبيلاطس معاً للوصول لتحقيق أهدافهم ، دافعين الناس إلى التظاهر والاحتجاج الشعبي ، فلجأوا إلى تحريض

الشعب ضد المسيح الذي بايعوه قبل أيام قليلة مسياً ومخلصاً لهم ، وتحت ضغط الشارع حققوا مطلبهم ورضخ لهم الحاكم وصلب المسيح .

4)مظاهرة أهل أفسس

تعتبر هذه المظاهرة نوعاً من التظاهرات الفئوية ، حيث قاد هذه التظاهرة العنيفة رجل اسمه ديمتريوس كان نقيباً لصناع الهدايا التذكارية في أفسس ، والتي كانت تقوم تجارتها على احتفالات أرطاميس وهيكلها هناك ، ولقد هاج الشعب هناك وانضموا إلى الصناع ، وقد استطاع ديمتريوس أن يثير حفيظة الشعب العاشق لأرطاميس بقوله أن هناك إهانة للآلهة وتحقيراً لها ولمريديها ، بينما كان غرضه هو إنقاذ تجارته من الكساد الشديد الذي أصابها من جراء كرازة الرسول بولس بالمسيح ، وتحول الكثيرين إلى المسيحية وانفضاضهم من حول الوثنية ومعابدها .

5)شغب وفتنة في فيلبي

جاء هذا الشغب بسبب عرافة (ساحرة) مدينة فيلبي حيث اعترفت رغماً عنها بالمسيح معلنة لأيام متتالية أن بولس وتيموثاوس ومن معهما هم عبيد الله الحي ، وما شعر بولس أن هذا الصياح قد يعطل خدمتهما ويهيج الناس عليهما ، أمر الروح النجس بالخروج منها ، وهنا شعر مواليها (أتباعها) بأنهم خسروا ما كانوا يجنونه من سحرها وشعوذتها ، فجرّوا الرسولين إلى السوق (ساحة الاجتماع) واستطاعوا أن يهيجوا الحكام والجموع عليهما .

لم يكن غرض المتظاهرين إلا نفعهم الشخصي فلم يكن يعنيهم الوطن ولا العرافة نفسها ولا أي قضية هامة بل كان كل همهم الأموال التي كانوا يحصلون عليها ، ولعل المتظاهرون أنفسهم لم يدركوا أنهم استغلوا بهذا القدر !!

ـ **تظاهرات الفرح والتأييد :** ليست كل المظاهرات شغباً واستنكاراً ، لكن البعض منها يكون هدفه التأييد والمؤازرة أيضاً ، وفي هذا النوع من التظاهر تعبير عن انفجار مشاعر الحب والبهجة والتأييد ، ويُسجل الكتاب المقدس الكثير أيضاً من هذه النوعية من التظاهرات :

ـ تظاهرات فرح بتابوت عهد الرب .

ـ تظاهرات تأييد لداود .

ـ مظاهرة الاحتفال بدخول المسيح أورشليم .

ثالثاً : شخصيات ثورية كتابية

إن أكثر ما يلفت انتباهنا عند دراستنا لبعض الشخصيات الكتابية ، التي تميزت بوعي ثوري ، أنهم كانوا في غالبيتهم إما أنبياء أو رسلاً لله ، وعلينا أن ندرك أن الأنبياء والرسل ـ سواء في العهد القديم أو العهد الجديد ـ كانوا يمثلون قناة الاتصال والتواصل بين الله وشعبه ، فهم من هذه الناحية

رجال ملهمون ومدعوون لإعلان قصد الله لشعبه وللعالم ، ومفسرون لشرائع الله ، ومن جهة أخرى نرى في هؤلاء الرجال كتيبة من المدافعين عن مصالح شعوبهم ضد كافة الأخطار .

ويؤثم النبي إشعياء ما كان يفعله الإقطاعيون ومالكوا الأراضي بالقوة والأساليب الفاسدة ، وينادي بالويل لهم ، قائلاً :"ويل للذين يصلون بيتاً ببيتٍ ويقرنون حقلاً بحقلٍ حتى لم يبق موضع فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الأرض " (إشعياء 5 : 8) ، من هذه المنطلقات سوف نقوم بدراسة بعض المواقف في حياة بعض الشخصيات الكتابية لنرى ما كانوا يتمتعون به من فكر ثوري واجهوا به قيادات مجتمعاتهم غير خاشين على حياتهم ولا على ما يمكن أن يلاقوه في سبيل التأكيد على المبادئ الإنسانية ، والعدالة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والأخلاقية ومن هذه الشخصيات :

1)النبي ناثان يواجه الملك بأخطائه

لقد واجه ناثان الملك داود وجهاً لوجه ووبخه على فعلته الشائنة التي فعلها مع أوريا الحثي وزوجته بشبع ، قائلاً قوله الشهير: "أنت هو الرجل " ، وما كان من الملك داود إلا أن اعترف بخطئه في حضرة النبي ناثان قائلاً :"قد أخطأت إلى الرب" (2صموئيل 12 : 7 ، 13) .

لم يخش النبي ناثان من ردة فعل الملك داود ، ولم يجامله أو يبرر له موقفه بل بكل صرامة واجهه بالقطع كان ناثان يُدرك أنه يقف في محضر الملك ، ويدرك أيضاً ما يجب على الإنسان من طاعة وخضوع للسلطات والرئيس ، لكنه كان يدرك أيضاً دوره النبوي ورسالته ومبادئها الأخلاقية التي تعنف وتوبخ حتى الملك انتصاراً للمبادئ وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والقانونية .

2)النبي إيليا ينتهر الملك الظالم

النبي إيليا من أشهر أنبياء العهد القديم ، وقد ظهرفي فترة ساد فيها الظلام والفساد على مملكة إسرائيل المنقسمة شمالاً وجنوباً ، وقد مارس إيليا نبوته إبان فترة حكم الملك آخاب بن عمري ، الذي ملك على إسرائيل قرابة اثنين وعشرين عاماً ، ويمكننا أن نتوقف أمام موقفين واجه فيهما إيليا النبي الملك آخاب بكل صرامة وحسم :ـ

الموقف الأول : كان عندما أعلن الله لإيليا أنه سيمنع المطر ويجفف الأراضي الزراعية عقاباً على الفساد الديني الذي انغمس فيه الملك آخاب تابعاً لزوجته الشريرة إيزابل ، حيث أزاغا الشعب وراء عبادات وثنية متعددة ومتنوعة ، وبعد انقضاء عدة أعوام على العقاب ، كان أخاب قد امتلأ غيظاً وشراً من النبي إيليا ، وعندما أراد إيليا مقابلة الملك آخاب ليبشره بقرب انقضاء فترة العقاب ، حدث أن الملك في شدة غيظه قال للنبي إيليا "أأنت هو مكدر إسرائيل ؟" ، فما كان من النبي إلا إن جاوب الملك بمنتهى الحزم قائلاً له :"لم أكدر إسرائيل ، بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم " ، ومن ثم حدثت المواجهة الكبرى بين النبي إيليا وثماني مئة وخمسين نبياً من أنبياء البعل الذين أشاعوا الفساد الديني والعبادات الباطلة ، وقد واجه إيليا كل هؤلاء الأنبياء وانتصر عليهم وردد قولته الشهيرة متحدياً جمهور الشعب قائلاً لهم :"حتى متى تعرجون بين

الفرقتين ؟" ، أي إلى متى تفسدون دينياً ، وتحاولون الجمع بين الباطل والصحيح ، وقد انتهى الأمر بغلبة إيليا في مواجهة سطوة الملك والأنبياء الكذبة .

الموقف الثاني : وقد حدث بعد الحادثة السابقة ، وهو في موقف يُعد نموذجاً للفساد الاجتماعي والأخلاقي ، فقد أراد الملك آخاب أن يضم قطعة أرض زراعية صغيرة لحديقة قصره ، وكانت هذه الأرض ملكاً لرجل من عامة الشعب ، ولما رفض الرجل التنازل عن أرضه للملك ، فما كان من زوجة الملك إلا أن دبرت مكيدة على إثرها تم إعدام صاحب الأرض والتخلص منه ، وهنا يظهر إيليا كعادته مواجهاً الملك قائلاً له *:" هل قتلت وورثت أيضاً ؟ في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً " فقال آخاب لإيليا : (هل وجدتني يا عدوي ؟) فقال : (قد وجدتك لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر في عيني الرب . هئنذا أجلب عليك شراً ، وأبيد نسلك ، وأقطع لأخاب كل ذكر ومحجوز ومطلق في إسرائيل "* (1 ملوك 21 : 19 - 21) .

لم يخش إيليا النبي سطوة وجبروت وشر وفساد الملك آخاب ، بل وبخه وعنفه وتوعده ، لما فعله بأحد مواطني شعبه ، ومرة أخرى نجد النبوة لا تعيق الثورة على الفساد والظلم ومحاولة تحقيق العدل وإرساء العدالة الاجتماعية بين مختلف أطياف الشعب .

3)يوحنا المعمدان شهيد الرأي

أما إذا انتقلنا إلى العهد الجديد ، فنجد يوحنا المعمدان شخصية قوية جداً ولا يخشى في الحق لومه لائم ، كان يُدرك عمق رسالته الإلهية النبوية في مواجهة الفساد الأخلاقي المستشري في البلاد على طولها وعرضها ، وكان غالباً ما يردد عبارته الشهيرة في وجه الشعب والقادة الدينيين على السواء قائلاً :"يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ؟"(لوقا 3 : 7) .

وكان ملك البلاد في ذلك الوقت هو هيرودس الملك ، وكان إنساناً شريراً فاسداً أخلاقياً ، فقد طرد زوجته وتزوج من هيروديا امرأة أخيه فيلبس رغماً عن أخيه وفي حياته ، مما أغضب الشعب وأثارحفيظة يوحنا المعمدان الذي كان الملك يكن له كل الاحترام ويهابه ويخشاه .

وعندما علم يوحنا بفعلة هيرودس ، وفي حين لم يجرؤ أحد أن يقول له شيئاً جاءه المعمدان منددا بفعلته قائلاً له :"لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك**!**" (مرقس 6 : 18) .

4)السيد المسيح ثائراً

قدم المسيح من خلال مشوار حياته على الأرض وخدمته التي زادت عن ثلاث سنوات ، نموذجاً رائعاً للثائر ضد الظلم الاجتماعي والطبقية والتمييز العنصري أو الجنسي ، من جهة ، ومن جهة أخرى ضد الفساد الديني والممارسات الطقسية والشكلية التي أفرغت الدين من معناه الحقيقي وحولته إلى صور شتى من صور التدين الظاهري ، والتي أصبحت في حد ذاتها نوعاً من التمييز بين البشر ، كما واجه ظاهرة اختلاط الدين بالسياسة ، ممثلة في الأحزاب السياسية ذات المرجعيات

الدينية ، أو الجماعات الدينية في عصره ، والتي نحا بعضها منحى التطرف واستخدام العنف ضد معارضيهم في الرأي .

وعندما أعلن المسيح أنه جاء ليحرر الإنسان ويمنحه الحياة الأفضل لم يكن يقصد فقط المعنى الروحي للتحرير والخلاص ، لكنه تخطى هذا المفهوم الضيق للخلاص للمفهوم الأكثر رحابة ألا وهو تحرير الإنسان الشامل للحياة الروحية والزمنية معاً .

ومن المواقف الثورية التي قام بها المسيح في قضايا الإصلاح الاجتماعي ، ثورته ضد الطبقية ودفاعه عن كرامة الفقير والمظلوم ، ورفعه شأن المرأة ، حيث كان المجتمع اليهودي يعاني من التمييز الطبقي لأفراده ، فهناك التمييز بين الأغنياء والفقراء ، السادة والعبيد ، الأبرار والأشرار ، الرجال والنساء .

لقد انتقد المسيح السلطات الدينية والمتدينين ، والأغنياء والارستقراطيين ، وكانت له آراؤه في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وهو لم يدعنا لأن نغلق عيوننا أو نصم أذاننا ، أو نلجم ألسنتنا عندما نرى حقوق الإنسان تهدر وتغتصب ، أو أن نرى الظلم في توزيع الثروة أو مباشرة الحقوق السياسية ، بل يدعونا لأن نندمج في المجتمع ونشارك فيه ، ونعمل على تحقيق الديمقراطية المجتمعية على أساس المساواة في حقوق الإنسان الذي خلقه الله ومنحه قيمة وشرفاً علينا جميعاً احترامه ، وعلينا أن نقّيم سياسات وتوجيهات المجتمع ونشارك في صنعها بطريقة صحيحة وواضحة .

الاحتجاجات والثورات في التاريخ المسيحي والكنسي

يُسجل التاريخ المسيحي عامة ، والكنسي خاصة ، الكثير من الاحتجاجات والثورات ، ضد الفساد وأوجه الظلم المختلفة ، ومنها الديني ومنها السياسي ، ومنها ما جمع بين الإثنين ، وغالباً ما كانت محاولات الإصلاح تسبق أي احتجاج أو ثورة .

وسوف نرصد الآن نموذجاً من بعض الاحتجاجات والثورات في التاريخ المسيحي والكنسي :

ـ ثورة الأنطاكيين ضد الإمبراطور ثيودوسيوس : كانت أنطاكية تحت حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير آخر أباطرة الإمبراطورية الرومانية الموحدة ، وقد ترهلت الإمبراطورية وانتشر الفساد في كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، واحتفالاً بمرور عشرة أعوام على حكمه ، وخمسة أعوام على حكم ابنه آركاديوس ، قرر أن يقيم بهذه المناسبة احتفالاً ضخماً يليق بالإمبراطور وابنه ، ولكي يزيد هذا الاحتفال بهجة قرر أن يُكرم جنوده ويمنحهم مزيداً من المزايا ، مما اضطره لأن يفرض بعض الضرائب الجديدة والتي كانت ترهق كاهل شعبه ، وحينما وصل المنشور مدينة أنطاكية ، وكان ذلك عام 387م ، وقبلما يفرغ القارئ من تلاوة المنشور الإمبراطوري هاج الحاضرون وهتفوا ضد هذا العبء الذي لا يحتمل ، للدرجة التي قالوا فيها أنهم لو بيعوا هم وأولادهم وكل ما يملكونه ، لن يمكنهم أن يفوا بهذه الضريبة ، فخرجوا في المدينة ثائرين ضد هذا المرسوم ، وفي ثورة غضبهم حطموا تماثيل الإمبراطور وزوجته وابنه ،

وما أن وصل الخبر إلى الإمبراطور ، حتى قرر قمع هذه الثورة ولو أدى الأمر لإحراق المدينة كلها ، بعدما سحب منها امتياز كونها عاصمة الإمبراطورية ، ومنحه لمدينة القسطنطينية ، وأرسل قواته لقمع الثوار الأنطاكيين ، محملين بكل وسائل القمع المعروفة آنذاك ، وبالفعل عاث الجنود فساداً في المدينة ، واستخدموا كل أساليب القهر والقمع .

فهرب الكثير من شعب المدينة وهجروا مدينتهم إلى المغاير والغابات ، ولم ينته الجنود إلا بعدما تأكدوا أنهم قهروا وقمعوا هذه الثورة وأخمدوها تماماً ، لقد أظهرت هذه الثورة كيف أن كبرياء النظام الحاكم يمكن أن يصل به في انتقامه إلى حد مرعب من القمع والقهر .

ـ ثورة الإصلاح الإنجيلي في أوربا : بدأت أزمة العصور الوسطى ، أو عصور الظلام التي عانت منها أوربا طويلاً ، ودفعت بالإصلاحيين وحركات الإصلاح ، ومن ثم ثورات الإنجيليين التي غيرت خريطة أوربا والعالم ، ليس فقط على المستوى السياسي بل على كافة المستويات الديني منها والاجتماعي والسياسي والعلمي .

بدأت أزمة العصور الوسطى مع بدايات القرن الرابع الميلادي ، عندما تحول الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية ، وأعلنها ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية ، ومع اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية كان ذلك بالنسبة للمسيحية والكنيسة إيذاناً ببداية عصر جديد ارتبط فيه السياسي متمثلاً في الكنسية ، الأمر الذي فتح الطريق للإمبراطور للتدخل في شؤون الكنيسة .

ولقد بدأت الأموال تتدفق على الكنيسة حتى امتلأت خزائنها ، ولم تعد الكنيسة تتمتع بالنفوذ الديني فحسب ، بل بالنفوذ السياسي والاقتصادي معاً ، على الجانب الآخر كان لتدخل الإمبراطور قسطنطين في المجامع الكنسية ، واستخدام سلطاته وعلاقاته في فض الكثير من النزاعات الكنسية والعقائدية الشائكه ، أثره الواضح في تكريس التزاوج بين السلطة السياسية والدينية ، ومع ضعف الإمبراطورية الرومانية وأنقسامها تضخمت سلطات وصلاحيات بابوات الكنيسة وأصبحوا هم ورجال الدين القوة الفاعلة في الإمبراطورية ، الذين يسيطرون على شؤون الدين والدنيا معاً ، بل وأصبح من حق وسلطان البابا أن يعين ويعزل الإمبراطور كما يفعل مع أساقفة وكاردينالات الكنيسة .

جعلت هذه الصلاحيات والسلطات من البابا نائباً لله على الأرض ، والمتحدث الرسمي باسم الله ، وأصبحت البابوية مؤسسة عالمية قاسية وشديدة الصلابة ، ومع اقتران هذه الصلاحيات بالسلطة السياسية والنفوذ الاقتصادي والتحكم المطلق في شؤون الحياة اليومية على كافة المستويات انتشر الظلم والاستبداد والفساد .

ومع توغل وتشعب هذا النظام المستبد لم يكن أحد يقوى على المعارضة أو الثورة على نظام الكنيسة أو أن يقف في وجهها لأن نصيبه سيكون السجن في أحسن الأحوال ، وفي أغلبها سيكون الإحراق أو الإعدام في الميادين العامة عقاباً مؤكداً لكل من يجرؤ على معارضة النظام .

وكان ضمن مظاهر الفساد في ذلك الوقت انتشار صكوك الغفران ، عقيدة المطهر ، شراكة القديسه العذراء مريم في الخلاص ، شفاعة القديسين ، ظهور ما يُسمى بالأسرار الكنسية ، شراء رجال الدين للمناصب العليا كالمطرانية والكاردينالية وصولاً للبابوية .

ومع بزوغ فجر القرن الخامس عشر الميلادي تنسمت أوربا أولى نسمات انطلاق عصر النهضة ، حيث بزغت بدايات الحركات الفكرية ، والإقبال المتزايد على دراسة التراث اليوناني واللاتيني ، تشجيع العلوم والدراسات العلمية ، إنشاء المكتبات ، كذلك كان لاختراع الطباعة وطباعة الكتاب المقدس ليكون في متناول الشعب وبلغاته القومية أثره الواضح في إعلان بداية عصر جديد من إصلاح النظام القائم أو الثورة عليه .

1)محاولات الإصلاح الإنجيلي

بدأت المحاولات الأولى لإصلاح النظام السائد في أوربا بدعوة من بعض المفكرين الإصلاحيين الذين أرادوا الإصلاح بقيادة كل من جون ويكليف (1328 - 1384 م) ، الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية ، كما هاجم سلطة البابا المطلقة ، وأنكر عليه فرض الضرائب على شعب كنيسة إنجلترا ، ونادى بأنه لا فرق ولا تمييز بين الرجال بسبب رتبهم الكهنوتية .

ثم جاء المصلح جون هيس ، الذي اعتبر أن رئاسة البابا للكنيسة منافية ومناقضة لروحانية الكنيسة ، كما دعا الكنيسة لعدم الأخذ بسر الاعتراف ، مبيناً أنه ليس للكنيسة سلطان محو الذنوب والآثام ، وأن الغفران يأتي نتيجة رحمة الله التي تمحو ذنوب الإنسان عندما يتوب إلى الله ويتطهر ، لكن الكنيسة قررت حرمانه ، وإحراقه بقرار من مجمع كونستانس (1414 - 1418 م) .

بعد ذلك سعى المصلحون وعلى رأسهم أرازموس (1466 - 1536 م) ، وتوماس مور(1478 - 1525 م) ، إلى محاولة الإصلاح السلمي للكنيسة في ممارساتها وحياة قادتها وسلوك أعضائها وكان أرازموس يرى أن إنارة الأذهان وتنوير العقول ، هي أفضل سبيل لتحقيق الإصلاح ، إلا أن غالبية البابوات قاوموا فكرة الإصلاح ووقفوا بكل عنف في وجه تلك الدعوات ، فلم يعد هناك من بديل ، إلا الإصلاح من الخارج ، ويصبح انتفاضة ضد الكنيسة وثورة عليها .

2)ثورات الإصلاح الإنجيلي

لقد كان مارتن لوثر (1483 - 1546 م) ، هو بطل تلك الثورة الدينية ضد البابا والفساد الديني المتفشي في أوساط أوربا كلها في ذلك الوقت ، ومع أن لوثر لم يأت من خارج النظام ، إذ كان أستاذاً جامعياً في كل من جامعة أرفورت وفيتمبرج ، وكان راهباً أوغسطينياً ، رسم كاهناً في كاتدرائية أرفورت (أبريل 1507م) ، لكنه أثناء دراسته للإنجيل وخاصة رسالة رومية اكتشف أن النعمة الإلهية ، وليست الأعمال الإنسانية هي التي تبرر الإنسان أمام الله ، فقام بتعليق ملاحظاته واحتجاجاته وعددها خمسة وتسعون اعتراضاً وحجة ، على باب كاتدرائية فيتمبرج ، ليلة 31 أكتوبر 1517 م ، عشية عيد القديسين حيث الجماهير الغفيرة التي تحضر هذه المناسبة المقدسة مما

جعل الكثير من عامة الشعب والمثقفين والمفكرين يقرأون هذه الاحتجاجات ، وساد الاضطراب سكان المدينة وتناقل الجميع محوى تلك الاحتجاجات ،حتى وصلت الأخبار إلى البابا في روما مما أغضبه وأثاره بشدة ضد لوثر ، وعقد مجمع هيدلبرج (1518 م) ، وفيه سجل لوثر انتصاراً ساحقاً أمام عظماء اللاهوت في عصره ، وبهرهم بعمله ومعرفته العميقة بالكتاب المقدس .

ولقد نشر لوثر أول كتيب من الكتيبات التي شكلت برنامج الثورة الدينية ضد الطغيان الديني والبابوي .

غير أن لوثر لم يكن وحيداً في دعوته هذه ، فقد تزامنت حركته مع وجود مصلح آخر لا يقل ثورية عنه ، وهو المصلح السويسري زونجلي (1484 - 1531 م) ، وقد كان زونجلي جامعياً أيضاً ، درس بجامعة فيينا وبازل ، وسيم كاهناً بدير كروس مونستر بزيورخ (1519 م) ، ولقد بدأ ثورته ودعوته لإصلاح الكنيسة ، وكتب العديد من الكتيبات التي هاجم فيها فساد الكهنوت الكنسي ، كما هاجم بيع صكوك الغفران ، وقد عقد مجمع زيورخ في يناير (1523 م) ، لمناقشة أفكار زونجلي ، ولم يستطع أحد أن يقاوم منطقه الفكري واللاهوتي .

وعلى الجانب الفرنسي ومتزامناً أيضاً مع الحراك السياسي والديني في كل من ألمانيا وسويسرا ، كان المصلح جون كالفن (1509 - 1564 م) ، يقود الشعب في ثورته ضد الفساد ، درس كالفن القانون والعلوم الإنسانية بجامعة باريس وتخرج فيها عام 1532 م ، ليعمل دكتوراً في القانون بمدينة أورليانز .

وفي تحدٍ صارخ للنظام الكنسي القائم آنذاك ، قام كلفن بممارسة خدمة "العشاء الرباني" ، ورغم أنه لم يُسم كاهناً أو قساً بعد ، معتمداً على ما جاء في رسالة الرسول بولس الأولى إلى كنيسة كورنثوس ، حيث يقول : "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً .." (اكورنثوس 11 : 23) ، وتواصلت كتابات جون كالفن التي ناقش فيها الكثير من المفاهيم اللاهوتية والفقهية ، وفي كتابه "أسس الديانة المسيحية " أوضح رؤيته الخاصة للكنيسة ، وفرق بين الكنيسة المنظورة المرئية المنتشرة على كل سطح الأرض ، والكنيسة غير المنظورة وهي التي تضم جماعة المختارين عبر كل العصور ، وهي غير منظورة وغير معروفة بطريقة شاملة من الناس إلا أنها معروفة ومنظورة بالنسبة لله . أما بالنسبة للكنيسة المنظورة فقد كان لكالفن تصور محدد لصلاحياتها ونظام إدارتها وعلاقتها بالمجتمع والدولة . وقدم أولى محاولاته لوضع دستور كنسي ينظم تلك العلاقات في تشابكها وترابطها .

كانت هذه الثورات الإنجيلية حصيلة عدة عوامل دينية وسياسية واجتماعية ، وأخلاقية ، وفنية ، وفكرية وعلمية ، ومع أن هذه الثورات انطلقت من منطلقات فكرية سلمية ، ومع أنها نبذت استخدام العنف بأشكاله ، إلا أن أعداء الإصلاح ورموز النظام الإمبراطوري والبابوي في روما ، استخدموا كل أنواع القهروالقمع لوأد الثورة الإنجيلية ، مما ساعد على حدوث انقسامات داخلية بين قادة الإصلاح أو بين أتباعهم ، وقد أثرت هذه الانقسامات على الثورة فتفرعت إلى مذاهب مختلفة تتفق

في العموم وتختلف في بعض العقائد تبعاً للفهم الخاص لكل مصلح ديني ، بالإضافة لثورة الإصلاح المضاد التي قادتها الكنيسة الكاثوليكية آنذاك .

إن ثورات الإصلاح الإنجيلي ، لم تكن حدثاً عابراً في التاريخ الأوربي ، إنما كانت حدثاً تاريخياً ، فقد أنهت عصراً من الفساد والطغيان السياسي والديني ، فالإصلاح أو الثورة لن تقبل بالطغيان السياسي ولا بالطغيان الديني ، ومهدت لانتهاء عصر وبزوغ عصر جديد ، هو عصر النهضة العلمية والصناعية التي سادت أوربا وانعكست على العالم كله ، وأصبحت المسيحية الأكثر تأثيراً في عالم اليوم هي المسيحية الإنجيلية البروتستانتية .

3)ثورة الشباب القبطي المصري ضد البابا يوساب الثاني

كانت مصر تعيش أجواء ثورة 23 يوليو 1952م ، بكل ما صاحب هذه الثورة من فرحة الانتصار على الملكية ، حيث أجبرت الملك أن يتخلى عن مملكة مصر لولي عهده الطفل "أحمد فؤاد الثاني" ومع تنامي الرغبة الثورية في الإصلاح تأثر الكثير من الشباب القبطي ، الذي كان يعاني من سوء قيادة البابا يوساب الذي بات منعدم الشعبية إذ استاء الشعب والمطارنة منه لتركه أمور البطريركية لسكرتيره الخاص الذي كان المحرك الفعلي للأمور يعبث فيها كما يشاء ، وانطلاقاً من الرغبة الثورية في إصلاح الشأن الكنسي ، وربما إثباتاً للهوية وتذكيراً بالوجود وتعبيراً عن المخاوف ، فقد قام بعض من الشباب القبطي بقيادة "إبراهيم فهمي هلال" الذي كان قد أنهى دراسته الحقوقية في مدرسة الحقوق ، بتأسيس "جماعة الأمة القبطية" ، واضعاً شعاراً للجماعة يقول :"الله ملكنا . مصر بلدنا . الإنجيل شريعتنا . الصليب رايتنا . القبطية لغتنا . الشهادة لأجل المسيح غايتنا " ، وبعد موافقة الحكومة رسمياً على إنشاء تلك الجماعة ، اتخذت من مكتب بالفجالة مقراً رئيسياً لها ، وقد أقيم حفل تأسيسي لافتتاحها بشكل رسمي في فناء مدرسة جمعية التوفيق القبطية في حي الظاهر ذي الكثافة القبطية المرتفعة ، حضره إبراهيم باشا فهمي المنياوي ، وراغب باشا اسكندر ، ومطران أخميم ، وسكرتير البابا ، وانضم في ذلك اليوم أكثر من ألف مؤيدٍ لأهداف الجماعة ، والتي بلغ عدد أعضائها نحو 92 ألفاً خلال العام الأول من تأسيسها .

ومع أن مؤسس الجمعية يؤكد أنه لم يكن يريد دوراً سياسياً ، إلا أن الجمعية شاركت بفاعلية في الحراك السياسي الثوري ، وعندما شكل مجلس الثورة " مجموعة الخمسين " لتشكيل دستور البلاد ، اختار المجلس ستة أقباط منهم مطران ، ليكونوا ضمن تلك المجموعة وحتى يأتي الدستور المصري وطنياً ملبياً لكافة شرائح المجتمع المصري .

كانت الجماعة تمتلك مشروعاً متكاملاً اجتماعياً وسياسياً للشباب القبطي حتى يخرج للشارع ويشارك في صنع القرار وفي صنع مستقبله ، ويتعرف على مشاكل كنيسته ويشارك في تصور ووضع الحلول لتلك المشاكل .

والجدير بالذكر أنه أثناء الاحتفال بثورة يوليو تحرك أعضاء الجماعة نحو مبنى البطريركية ، ودخلوا إلى غرفة البطريرك ، وخاطبوه قائلين :" لقد رأى المجمع المقدس أنك لابد وأن تبتعد عن

البطريركية وتستريح" . ولما لم يعترض البابا على هذا الرأي بل وافق على الفور ، قدم له المطارنة ورقة تفيد تنازله عن رئاسة الكنيسة ليوقع عليها ، ثم ارتدى البابا ملابسه في هدوء واستقل سيارته البابوية الخاصة دون أن يتم رفع العلم عليها وأخذته السيارة إلى دير مارجرجس للبنات بمصر القديمة ، لكن وزارة الداخلية والأجهزة الأمنية تمكنت من القبض على أفراد الجماعة ، وإعادة البابا إلى مقره في اليوم التالي ، إلا أن المجمع المقدس أعلن أن البابا قد تم تنحيته وأن يده مرفوعة من رئاسة الكنيسة منذ اليوم الذي وقع فيه على ورقة التنحي ، ووقف المجمع في وجه الدولة وقفة تاريخية لن تتكرر وبالفعل أدارت الكنيسة أمورها بعيداً عن البابا حتى أنه سافر بعد ذلك لأسيوط ومكث في دير المحرق ولم يعد ، حتى بعدما اتخذ المجمع المقدس قراراً بإعادته ثانية .

4)ثورة رومانيا ضد البابا شاوشيسكو

لعبت الكنيسة الإنجيلية المُصلحة في رومانيا دوراً بارزاً في ثورة شعب رومانيا ضد الديكتاتور نيكولاي شاوشيسكو الذي حكم البلاد بقبضة من حديد ، واتسم حكمه بالشدة والدموية على الرغم من بعض الإنجازات في مجالات تنموية وعلمية وثقافية ، حتى قامت ضده ثورة شعبية طاغية عام 1989 م .

وتبدأ قصة الثورية الشعبية في رومانيا ضد الديكتاتور نيكولاس شاوشيسكو على خلفية قرار أصدره أحد أساقفة الكنيسة المصلحة في رومانيا بنقل القس لازلو توكس من الكنيسة المحلية التي يخدم فيها إلى كنيسة أخرى ، ولم يكن ذلك الإجراء إجراءً عادياً . فقد انتقد توكس سياسة حكومة بلاده وعلى رأسها شاوشيسكو في تعاملها مع المجريين في رومانيا . وإذ تمتع توكس بمساندة ودعم شعب كنيسته ، تحدى قرار الأسقف ، واستمر في خدمته ورعاية كنيسته ، فلجأ الأسقف للسلطة المدنية لتنفيذ قراره ، والتي رفضت في البداية أن تتدخل في شؤون الكنيسة ، إلا أنها عادت في أكتوبر 1989 فأصدرت قرارها باستبعاد القس توكس ، لقد ازداد التوتر وحاول أربعة ملثمين في نوفمبر 1989 اغتيال القس توكس ، ومن ثم اتخذت السلطات الرومانية قرارها بتحديد يوم 15 ديسمبر 1989 م ، كآخر موعد يغادر فيه توكس إما طواعية أو بالقوة . وعندما ذهبت قوات الشرطة صباح 16 ديسمبر لطرد القس توكس وإبعاده عن كنيسته تصدى لها عدة مئات من شعب تلك الكنيسة . وتحولت المواجهة إلى مظاهرة ضد الحكومة ، وأطلق رجال الأمن النار على الجماهير وقتلوا عدة آلاف خلال يومين . وتفاقمت الأمور في تيميسورا ـ محل إقامة وخدمة القس توكس ـ حتى 20 ديسمبر . وظهرت موجات الاحتجاج في بوخارست العاصمة يوم 22 ديسمبر ورفض عدد كبير من قوات الجيش أن يطلقوا النار على الشعب ، بل تعاطفوا مع الجماهير ... أعدم شاوشيسكو وزوجته إلينا في 25 ديسمبر 1989 م بعد أن أدانته الحكومة الجديدة بارتكاب جرائم القتل والاختلاس المالي ، وانتهى حكم الطاغية شاوشيسكو ، وانطوت صفحة قاتمة السواد من تاريخ رومانيا .

المفهوم اللاهوتي للاحتجاجات والثورة

شهد العالم عبر تاريخه الكثير من الحركات الاحتجاجية والثورات التي غيرت مجرى وأحداث التاريخ ، وأثرت تأثيراً مباشراً في التكوين الإنساني ، مما دفع بالإنسان إما إلى العزلة السياسية والمجتمعية ، أو الانخراط والاندماج في الحياة السياسية والاجتماعية وصناعة التاريخ .

وتشهد منطقتنا العربية ـ هذه الأيام ـ الكثير من الاضطرابات والحركات الاحتجاجية والثورات التي أطاحت بأنظمة سياسية ، وقد دفع هذا بالكثيرين وخاصة من المسيحيين للتساؤل عن الأطر التي يجب أن يتحركوا من خلالها ، وهل هناك أسس كتابية ولاهوتية للمشاركة في تلك الأحداث والمساهمة في تغيير المجتمعات التي يعيشون فيها ؟ أم أن عليهم الركون والانزواء بعيداً عن معترك الحياة العامة ، وليفعل الله ما يشاء ؟

هنا لابد أن نشير إلى أن ثلاث مدارس فكرية ولاهوتية تباينت فيما بينها حول الإجابة على هذه الأسئلة :ـ

المدرسة الأولى : تدعو للانفصال التام والانعزال عن شؤون العالم والمجتمع ، بل تتخذ موقف العداء للعالم والحرب ضده ، وهم يعتمدون في دعوتهم هذه على بعض من آيات الكتاب المقدس مثل :"لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يُبغض الواحد ويحب الآخر أو يُلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال (متى 6 :24)" ، "اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولا تمسوا شيئاً مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم " (عدد 16 : 26) .

المدرسة الثانية : لا تختلف كثيراً عن المدرسة السابقة ، إلا أنها تدعو إلى الانفصال عن العالم دون إعلان الحرب ضده ، مع تقديم رسالة الخلاص له ، ويعتمدون في ذلك على بعض آيات الكتاب المقدس ومنها : "لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير . ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم .. كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم .. لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم " (يوحنا 17 : 15 ، 16) .

المدرسة الثالثة : وتنادي بأهمية الاندماج ومشاركة المجتمع ، والعالم ، في التغيير نحو الأفضل ونحو كل ما يرتقي بالإنسان ، وأصحاب هذا الفكر يؤمنون أن المؤمنين جزء من كيان هذا العالم المادي ، وعليهم التفاعل مع مجتمعاتهم بهدف التغيير ، وهم يعتمدون أيضاً على بعض مما جاء في الكتاب المقدس ، فيما قاله المسيح لسائليه عن موقفه من دفع الضرائب ، حين قال :"أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله " (مرقس 12 : 17) .

إن "التحرر" شعار عصري ، لكنه أيضاً معنى إنجيلي أصيل حيث يمثل مفهوم "التحرير" أحد أهم مواضيع الكتاب المقدس الأساسية . لذا سنحاول في السطور التالية تقديم قراءة كتابية لاهوتية إزاء الاحتجاجات والثورات .

ـ اللاهوت المسيحي والمساواة : يقوم الفكر اللاهوتي المسيحي على حق التساوي بين البشر والمساواة في الإنسانية مستنداً إلى ما جاء في سفر التكوين وبالتحديد في قصة خلق الله للإنسان وما يتبعها من قيمة إنسانية ومساواة بين البشر جميعاً من الكتاب المقدس ، حيث يكتب الوحي المقدس :

و"جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفساً حية " ، فالبشر جميعاً مخلوقين من مصدر واحد ، وهو تراب الأرض ، ومصدرهم أب واحد هو آدم ، الذي لم يكن يوماً نفساً حية دون نفخة الله فيه ، وبالتالي فجميع البشر أمام الله متساوون في الحقوق والواجبات ، لا فرق بين ذكرأو أنثى ، بين غني أو فقير ، بين أشقر أو أسمر ، فالجميع مخلوقين على صورة الله وإن لم يكونوا بالطبع مساوين لله ، لكنهم متساوون أمام الله . والرائع هو ما سجله الكتاب المقدس أن الله رأى أن "كل ما عمله فإذا هو حسن جداً" (تكوين 1 : 31) .

ـ **اللاهوت المسيحي والتحرير:** التحرير ، أو الخلاص ، كمصطلح كتابي ، والفداء كفكر لاهوتي ، هو أولاً وأخيراً ، عمل إلهي ، قام به وتممه الله ، وهناك قناعة كتابية أساسية أن الإنسان عاجز عن تخليص نفسه . وأن الله هو الذي يقدم نفسه المخلص الوحيد .

إن التحرير في معناه المسيحي هو الخلاص والتحرير من الخطيئة الأصلية والخطيئة الشخصية والخطيئة التاريخية أو الاجتماعية ، والحرية في هذا الإطار هي عطية من الله الذي يحررنا من الخطيئة ، من الموت ومن الناموس (رومية 6 : 18 - 23) . إن التحرير من الخطيئة ومن الموت ومن الناموس والشريعة هو جزء أساسي من التحرير الكامل الذي يقدمه الله في المسيح ، من خلال فدائه ، ومحبته ، وصولاً للمصالحة مع الله .

ويرى "لاهوت التحرير" ، أن مفهوم اللاهوت المسيحي للفداء والتحرير لا يقف فقط عند الخلاص بمعناه الروحي ، أو يقتصر على العبارات والمعاني التي تتعلق بالخلاص الأبدي والحياة المجيدة التي ستتحقق في ملكوت الله في حياة ما بعد الموت ، بل يجب أن يشمل تحقيق مفهوم ملكوت الله كواقع يتحقق الآن ، هذا الملكوت هو نظام اجتماعي جديد يضمن المساواة للجميع ، وهذا لا يعني تجاهل البعد الأخروي الأبدي ، لكنه يربط الإثنين معاً ، وعليه فإن الخلاص والتحرير هو التحرك نحو نظام جديد ، وبناء عليه فالمؤمنون المسيحيون مطالبون بمقاومة كل من يعارض هذا النظام الجديد .

ومن هذا المنطلق يرتكز "لاهوت التحرير" ، على الانحياز الكامل للفقراء والضعفاء والمهمشين والمقهورين ضد الاستبداد والقهر والقمع ، حتى أنه يفسر الخطيئة على أنها الموقف السلبي من قوى الاستبداد والقهر وكل أشكال الظلم ، والغياب العملي للمحبة بين البشر ، كما يركز على أن رسالة الكنيسة تتخطى الرسالة الروحية إلى مناصرة العدل ومحاربة الظلم .

ـ **اللاهوت المسيحي وحرية التعبير عن الرأي وتقرير المصير :** يؤكد اللاهوت المسيحي على حرية الإنسان ، وهي هبة منحها الله لجميع البشر ، منذ أن جبل الإنسان ، وهذه الهبة ليست أمراً يكتسبه الإنسان من نظام أو أمير أو ملك أو رئيس ، أو حتى من أي تشريع دنيوي من وضع الإنسان . إنما دور الإنسان الوحيد أن يعي في ذاته أنه كائن خلقه الله حراً ، وعليه بالتالي أن يؤهل نفسه والآخرين لممارسة هذه الحرية .

وتبلغ حرية الإنسان مداها في قبوله أو رفضه للإيمان بالله ، أو طاعته ، ونقرأ في الصفحات الأولى للكتاب المقدس ، كيف أن الله خلق الإنسان حراً ، وواجهه بمسؤولياته وتبعات قراراته التي يتخذها بحرية كاملة ، حين أوصاه قائلاً :"من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت " (تكوين 2 : 16 ، 17) .

ومرة أخرى يعود الله ويؤكد على حرية الإنسان في تقرير مصيره ، إذ يقول :"أشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحياة والموت . البركة واللعنة . فاختر الحياة لتحيا أنت ونسلك " (تثنية 30 : 19) ، إن الله أعطى الإرادة الحرة للإنسان ، حتى وإن استخدم الإنسان هذه الحرية في رفض الله أو الإيمان به .

ـ المواطنة : المواطنة هي العلاقة التي تربط الإنسان بوطنه ، (الأرض والمجتمع) ، هذا الارتباط يُشكل هوية الفرد والجماعة ، مستنداً على التاريخ الجمعي والإنساني والحضاري للمجتمع ، مروراً بالحالة والظروف الراهنة ، حيث يعتبر الفرد عضواً فاعلاً متفاعلاً في مجتمعه ، وصولاً لمستقبل أفضل يشارك المواطن في صنعه ، وبينما تؤكد المواطنة على علاقة المواطن بوطنه ، فإنها تؤكد في الوقت ذاته على الاختلاف بين الوطن والدولة ، فالدولة تشير إلى الأجهز العاملة في الوطن ، التي تدير وتعمل لصالحه ، ومن هنا قد يختلف أو يتفق الإنسان مع الدولة وسياستها ، فقد يكون مؤيداً لنظام الدولة أو معارضاً له ، لكنه يبقى في كلتا الحالتين مواطناً ، له حقوقه وامتيازاته ، وعليه واجبات ومسؤوليات المواطنة .

والمواطنة تطبع في المواطن صفات مجتمعية وإنسانية وليدة الأرض والجماعة ، وهي تتجاوز الطوائف والملل والطبقات الاجتماعية والفئوية كما تتجاوز مفهوم الأقلية بتداعياته المختلفة .

إن المواطنة تعبير عن التفاعل الحقيقي بين المواطن ـ الإنسان ـ وبين الدولة التي يعيش على أرضها ، بما يمثل العقد بين الإثنين ، وتتضمن هذه العلاقة في أحد جانبيها الحقوق التي يجب أن يتمتع بها المواطن ، مثل حرية الاعتقاد ، وحرية الفكر والتعبير ، وحرية الرأي ، وفي المقابل مجموعة من الواجبات التي عليه أن يقدمها للوطن ، مثل الضرائب ، الخدمة في القوات المسلحة ، الالتزام بالقوانين التي تفرضها الدولة ويشرعها ممثلو الشعب في البرلمان ، بالإضافة للمشاركة في النقد البنّاء ، وتحسين الحياة السياسية والمدنية .

وعندما تختل العلاقة التي تربط المواطن بالدولة التي يعيش فيها ، بحيث يشعر بالظلم أو القهر والقمع وغيرها ، في منحى من مناحي الحياة التي تنظمها الدولة ، فقد تنتابه مشاعر السلبية أو الاغتراب وقد يشعر بعدم الرضا ، وهكذا يضعف شعوره بالانتماء لوطنه أو الولاء له .

إن المواطنة دعوة إلهية ترتبط بالمكان ، والمجتمع ، والدولة التي نحيا على أرضها ، ولقد أظهر المسيح إيجابية ونموذجاً يحتذى ، في تأكيد نموذج المواطن الفاعل لأجل وطنه ، ففي مقولته الشهيرة والتي مازالت أصداءها تردد حتى اليوم ، حينما سئل عن الموقف من تقديم الضرائب لقيصر ، قال :"أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله " (مرقس 12 : 17) .

وعلى نهج المسيح سار التلاميذ والرسل ، فأكد الرسول بولس على المساواة الكاملة بين الجميع ، فلا فرق بين رجل وامرأة ، بين عبد وحر ، بين جنس وآخر ، هذه المساواة التي هي أساس المواطنة ، ولقد أدرك بولس أن سيادة القانون والمساواة في تطبيقه على جميع أفراد المجتمع هي جزء لا يتجزأ من تفعيل المواطنة الحقة ، ويذكر لنا سفر أعمال الرسل كيف كان بولس يدرك حقوقه كمواطن روماني ويتمسك ويُطالب القيادات بتحقيقها ، فذات مرة كان بولس وصديقه سيلا يبشران شعب مدينة فيلبي بالخلاص الذي في المسيح ، وبعد أن أجريا معجزة ثارت حفيظة البعض ، فألقيّ القبض عليه هو وزميله ، وبدون محاكمة أصدر أمر بسجنهما وتعذيبهما في السجن ، ولما صار النهار أرسل الولاة ليخرجا بولس وسيلا من سجنهما ، وهنا قال بولس :"ضربونا جهراً غير مقضي علينا ونحن رجلان رومانيان وألقونا في السجن أفالآن يطردوننا سراً ؟ كلا ! بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا" . فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام فاختشوا لما سمعوا أنهما رومانيان ، فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما " (أعمال 16 : 37 - 39) .

وفي مواقف عديدة أكد الرسول بولس على أهمية احترام السلطات والخضوع للرياسات والسلاطين معتبراً أنهم خدام لله ، ويوصي المواطن إذا أراد ألا يتعرض لعقاب السلطات ، أن يُظهر صلاحه بفعل الصلاح .

إن من يحاول أن يضع فاصلاً بين الحياة المسيحية والمواطنة ، بين المسيحي والالتزامات التي يفرضها عليه انتماؤه لوطنه ، بل إن من يحاول الفصل بين الانتماء لله والانتماء للوطن والمجتمع ، يبتعد عن الفهم الصحيح للكتاب المقدس ، لأن الانتماء الحقيقي لله ، والحياة المسيحية الحقة ، تظهر في المواطنة الصالحة وفي السلوك اليومي للإنسان المسيحي .

ـ دعوة الكتاب المقدس لإرساء العدل ومناهضة الظلم والقهر : إن مصطلح العدل في الكتاب المقدس إنما هو أوسع مدلولاً مما في لغاتنا الحديثة ، فالعدل مبدأ كتابي ولاهوتي واجتماعي وفضيلة ، أي سلوك واجب على الإنسان لتأكيد وتعزيز الحياة الصالحة والمنسجمة في المجتمع .

والعدل أحد صفات الله ، ويعني عدل الله أن ليس عنده ظلم ولا محاباة ولا يعوج القضاء ولا يأخذ بالوجوه ولا يتزعزع ، والعدل صفة إنسانية أمر الله بها البشر ، مسؤولين كانوا أو غير مسؤولين ، لكي يكونوا على مثال الله في عدله . وقد أكد أنه ينبغي على الحكام والقضاة :

<u>أولاً</u> : أن يحكموا ويقضوا بالعدل .

<u>ثانياً</u> : أن ينتصروا للفقير والمسكين .

وترتبط العدالة أساساً بالسلوك تجاه الآخرين ، وبخاصة فيما يتعلق بحقوقهم سواء في القضاء أو الحياة اليومية ، وليس العدل هو مجرد إعطاء الآخرين حقوقهم ، بل يتضمن الواجب الايجابي من جهة ضمان أداء هذه الحقوق .

كما أن تحقيق العدل والعدالة الاجتماعية مسؤولية جميع الشعب ، فإجراء العدل هو جزء من السير مع الله وانعكاس لمحبته التي لا تتغير ، وهو جزء لا يتجزأ من الواجب الإنساني دينياً ودنيوياً

ومن هنا يأتي دور الإنسان المسيحي مستنداً على ما يوصي به الكتاب المقدس ، من جهة ، وعلى ما نصت عليه مبادئ حقوق الإنسان والمواثيق الدولية من جهة أخرى ، في التحرك الإيجابي نحو تحقيق وإرساء العدل والعدالة الاجتماعية ومناهضة الظلم والقهر الذي يتعرض له الآخر . وتأتي الاحتجاجات والتظاهرات السلمية كأحد أشكال التعبير عن الرأي والاعتراض على النظم الجائرة التي تظلم وتقهر وتقمع حرية الإنسان ، ولا تحقق له العدالة المرجوة ، وهذه حقوق ديمقراطية يكفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدان الدوليان للحقوق المدنية والسياسية ، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية ، فضلاً عن معظم دساتير العالم ، ومنها الدستور المصري .

موقف الكنيسة من الاحتجاجات والثورات

مع تزايد وتصاعد وتيرة الاحتجاجات والاضرابات في الآونة الأخيرة ، وصولاً للتظاهرات والثورة على نظام الحكم وإسقاطه ، يطرح الكثيرون من مختلف فئات الشعب ، عديداً من التساؤلات عن موقف الكنيسة من تلك الاحتجاجات والثورة ، وهذا يضعنا أمام عدد من الأسئلة في غاية الأهمية ، منها : ما هي علاقة الكنيسة بالدولة ؟ هل يقتصر دور الكنيسة على الإطار الروحي فقط ، أم أن للكنيسة دوراً مشاركاً في الحياة السياسية ؟ وهل للكنيسة الحق في إبداء رأيها في قضايا السياسة ؟ أعلى الكنيسة أن تتخذ دائماً موقف الخضوع للحاكم والنظام السياسي ؟ هل من الواجب الفصل بين الكنيسة والمواطن المسيحي إزاء الشأن السياسي ؟ وهل للمسيحي الحق في ممارسة السياسة والتعاطي مع القضايا السياسية ؟ وهل يحق لرجل الدين المشاركة في العملية السياسية وإبداء آرائه في موضوعات وقضايا السياسة من منطلق كونه مواطناً ، أم أن وضعه كرجل دين يلزمه بالامتناع حتى من إبداء الرأي السياسي ؟

أمام مثل هذه الأسئلة وغيرها ، علينا أن نُدرك أن الله أقام الكنيسة في المجتمع لتهتم بعلاقة الإنسان الروحية مع الله ، والتوجيه الأدبي والأخلاقي والروحي في إطار مبادئ الكتاب المقدس لتنمو تلك العلاقة الروحية وتنعكس على علاقة الإنسان بالآخر ، كما أقام الله أيضاً الدولة في المجتمع لتهتم ببناء المجتمع والارتقاء بمستوى المواطنين الحياتي وخلق تعايش اجتماعي سليم والارتقاء بالثقافة الإنسانية ، والدولة هنا تكون خادمة لله من خلال خدمتها للإنسان ، ولذا فنحن أمام مؤسستين وضعهما الله لترتيب أمور الإنسان ، ومع ذلك قد يحدث تداخل أو تشابك أو تعارض بين أداء هاتين المؤسستين نتيجة عوامل وظروف مختلفة .

إن المجتمعات التي تحكمها الديكتاتوريات والأنظمة الشمولية ، ترى أن الطريقة المثلى والأكثر سهولة هي التعامل مع مواطنيها على أنهم كُتل مجتمعية أو سياسية ، ومن هنا تسعى هذه النُظم لتأصيل وتأكيد دور الكنيسة أو المؤسسة الدينية ، واختزال المؤسسة في شخص واحد ، كقائد ديني "البابا مثلاً ، أو رئيس الطائفة ...." أو مجموعة أشخاص "كمجلس أو هيئة علماء ... " ، وكلما تبنت الدولة موقفاً سياسياً تلجأ لمن تظن أن بيده الأمر والتوجيه ، ولأن قيادات أي مؤسسة هم

مواطنون بالدرجة الأولى ، ويتعاطون السياسة بشكلٍ ما ، ولهم آراء ـ كأي إنسان ـ في القضايا السياسية التي تشغل بال مجتمعاتهم ، فيبدو أن المؤسسة الدينية تمارس دوراً سياسياً في الحياة العامة ، وقد يؤدي هذا الدور أحياناً إلى شكلٍ من أشكال الصراع مع الدولة ونظام الحكم ، وهذا ما لا يوجد في الديمقراطيات الحديثة ، أو الدول التي تنتهج النظام الديمقراطي ، فإنها تُدرك خصوصية دورها في مقابل خصوصية دور المؤسسات الدينية ، وطبيعة علاقتها مع مواطنيها ، فتتجه تلك النظم الديمقراطية إلى دعم العلاقات التي تقوم على الاحترام والاستقلال المتبادل والدور المتخصص لكلتا المؤسستين ، الدينية والمدنية .

وعلينا أن نُدرك الفرق الواضح والبيّن بين الكنيسة كمؤسسة ، وبين المسيحي كمواطن ينتمي إلى بلدٍ يخضع لقوانينه وتسري عليه شرائع دستوره ، وله كل الحق في مباشرة حقوقه السياسية على مختلف الأصعدة ، فإذا كان من الواجب بل من الضروري على الكنيسة أن تهتم كمؤسسة بالدور الروحي وضبط العلاقة بين الإنسان والله ، فإن المسيحي ، كمواطن يتمتع بحق المواطنة وما تمليه عليه من حقوق وواجبات عليه ، أن يتمسك بالحقوق التي كفلها له الدستور والمواثيق الدولية في ممارسة حقه السياسي ، لأن اختيار الإنسان لممثليه السياسيين والتشريعيين والمحليين والنقابيين هو حق أصيل من حقوق الإنسان ، ويقوم على مبادئ روحية وكتابية أصيلة .

لكن ما يجب إدراكه هو أهمية ووجوب فصل الدين عن الدولة ، لأن أساس الدولة الحديثة هو المواطنة ، والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، دون تمييز أو إقصاء على أساس الدين أو المعتقد أو الجنس أو العرق ، كما أن في الفصل بين الدين والدولة ضمان لحريات واحترام التعددية المجتمعية ، وعدم السماح للمؤسسات الدينية بالتدخل في شؤون الدولة والمواطنين ، بينما يبقى دورها محصوراً في ممارسة شعائر العبادة ، والمحافظة على قدسية الدين بعيداً عن المصالح السياسية . كما أن فصل الدين عن الدولة يعني فصل المطلق عن النسبي ، فالدين يتناول المطلقات والإلهيات ، ورجال الدين يدعون امتلاك الحقيقة المطلقة ، وفصل الدين عن الدولة يُكرس للدولة المدنية وسيادة القانون ، ولا يسمح للمؤسسة الدينية ورجالاتها باستغلال المبادئ والقيم الدينية والروحية النبيلة وتوظيفها في المجالات السياسية والاقتصادية ، كما أن فصل الدين عن الدولة يعني في جانب منه أن يكون التشريع نابعاً من استقلالية مجلس التشريع القائم على الدستور . والدستور هو تشريع وضعي ينظم دولة المواطنة .

إن دولة المواطنة والقانون تُشجع المواطن على التفاعل الإيجابي ، ومباشرة حقوقه السياسية ، دون فرض الوصاية على آرائه أو قهره أو قمعه ، والمواطن الواعي بحقه السياسي ، لن يتأخر في التعبير عن آرائه وتفاعله مع هموم مجتمعه حتى وإن عارض نظام الحكم السائد .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه : كيف يوفق المسيحي بين إيمانه بوصايا الكتاب المقدس التي تحضه على الخضوع للرياسات والسلاطين باعتبارها مرتبة من عند الله ، ومن يقاومها إنما يقاوم الله ، ويُدان بسبب ذلك ، وبين المواقف الكتابية المتعددة التي تشجعه على مناهضة الظلم والانحياز

للضعفاء والمقهورين لنصرتهم ولإرساء العدل ؟ هل من تعارض بين الخضوع للحاكم والتمرد والثورة عليه ؟

هل من تعارض بين الخضوع للحاكم والتمرد عليه ؟

يؤكد الكتاب المقدس في أكثر من موضع على أهمية الخضوع للسلطات ، ويعتبر أن من يقاوم السلطات فإنما يقاوم ترتيب الله ، بل يوصي بأن تقام الصلوات والابتهالات والتشكرات لأجل الملوك والذين هم في منصب ، ولكي ندرك المعاني الإنجيلية للخضوع للسلطات الحاكمة بل والصلاة لأجلها ، واعتبار أن من يقاوم السلطات إنما يقاوم ترتيب الله ، علينا أن نعود قليلاً إلى الفكر اليهودي السائد آنذاك ، فقد آمن اليهود أنه لا يجب الخضوع لحاكم لا يدين باليهودية ، وقد كانوا يرتكزون في إيمانهم هذا لنص جاء في سفر التثنية ، ويقول :"من وسط إخوتكم تجعل عليك ملكاً . لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك " (تثنية 17 : 15) ، لقد تمسك اليهود بحرفية النص فكانوا لا يقبلون بحاكم غير يهودي ، ولأنهم كانوا تحت الاحتلال الروماني ، فكانوا دائماً يثيرون الشغب ضد الحكام ، وهذا يفسر الاضطرابات التي كانت تشهدها المدن اليهودية إبان وقت المسيح ، والسؤال الذي طرحه اليهود على المسيح قائلين :"حينئذٍ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمةٍ . فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين :" يا معلم نعلم أنك صادق وتُعلم طريق الله بالحق ولا تُبالي بأحدٍ لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن ؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟" فعلم يسوع خبثهم وقال :"لماذا تجربونني يا مراؤون ؟ . أروني معاملة الجزية " . فقدموا له ديناراً . فقال لهم : "لمن هذه الصورة والكتابة ؟" . فقالوا له :"لقيصر" فقال لهم :"أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله " . (متى 22 : 15 - 21) ، لقد ارتبطت العقيدة اليهودية بالحياة السياسية ، فحسبوا أن المسيح جاء ليخلصهم من سلطة الاحتلال الروماني ، وأن يبسط نفوذ اليهود على العالم كله ، ويُحيي مملكة داود ، ويعيد مجد اليهودية الغابر ، ولكنهم صدموا من إجاباته ، التي أرسى بها حدود العلاقة بين المواطن والحاكم ، سواء كان هذا الحاكم من نفس الدين والعقيدة ، أو كان غريب الجنس .

وعلى منوال المسيح سار التلاميذ والرسل ، فكتب الرسول بولس :"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله " ، وكتب الرسول بطرس "فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل .. خافوا الله أكرموا الملك" (1بطرس 2 : 3 ، 17) .

وهناك فرق شاسع بين الخضوع والخنوع ، فالخضوع هو إقرار واعٍ للعلاقة التي بين الحاكم أو المسؤول من جهة ، وبين الشعب أو المُستخدم من جهة أخرى ، ودور كل منهما في تحقيق الأفضل للجميع .

ويمكن أن نستخلص بعض المبادئ الكتابية لفهم طبيعة العلاقة بين الحاكم وشعبه :

المبدأ الأول : يتجلى في الفهم الإنجيلي لمصدر سلطة الدولة ، فكما سبق وأوضحنا أن مؤسسة الدولة أقامها الله ومنحها السلطات لرقي المجتمع ولخير الإنسانية ، إلا أنه لا يجوز أبداً أن تتضخم الدولة فتصبح سلطاتها مطلقة ، فالسلطة المطلقة والعبادة يخصان الله وحده .

المبدأ الثاني : يتلخص في وضوح أن قصد الله من إعطائه سلطة للدولة هو دعوة لها لكي تكون خادمة للبر ، فتكافئ الصلاح وتعاقب الشر .

المبدأ الثالث : إن الدولة ـ في طريق ممارستها لسلطاتها ـ يجب أن تكون قراراتها غير خاضعة للتمييز أو التحكم ، وعندما تستخدم القوة فذلك يكون لحماية البرئ ومعاقبة المذنب يجب أن يتم دون الوقوع في فخ "الاستخدام المفرط للقوة" .

المبدأ الرابع : يناقش هدف الخضوع للسلطة المدنية ، فكما يؤكد الرسول بولس أن الخضوع في رومية 13 ليس هدفه تجنب القصاص فحسب ، بل أيضاً من أجل الاحتفاظ بضمير صالح ، فإظهار القدوة الحسنة ، وأداء الضرائب العامة ، والصلاة لأجل الحكام والمسؤولين تمثل طرقاً ثلاثة يعلنها الكتاب ، ويشجّع بها المؤمنون الدولة على أداء واجباتها ومسؤولياتها المعطاة لها من قبل الله .

لكن السؤال يبقى مطروحاً ، ماذا يفعل المسيحي إذا أساءت الدولة استخدام السلطة الممنوحة لها من قبل الله ، فبدأت تشجع الشر وتعاقب الخير ؟! ماذا إذا توقفت الدولة عن أداء دورها كخادمة لله وأصبحت خادمة للشيطان فاضطهدت الكنيسة عوضاً عن أن تحميها ؟!

دعونا نتفق على أنه لا يحق للمسيحي مثلاً أن يتمرد على حكم دولته الشرعي رغبة في الثورة والعصيان . ولكنه أيضاً لا يستطيع أن يخضع لأمر الدولة بالكف عن عبادة الرب ، والتبشير بانجيل المسيح ، والرسول وهو يشجع على احترام السلطات ، والخضوع لها ، لا يطلب من المسيحي الخضوع الخانع ، وهو لا يقدم أي تشجيع للحكم الاستبدادي فمن واجب المسيحي الاحتجاج والتنديد بالمظالم وطلب تحقيق العدل ، كحق أصيل لحرية التعبير عن الرأي والايجابية في الحياة ، فإذا رأى أن الحاكم حاد عن تحقيق العدل ونحا نحو الظلم وقهر شعبه ، يكون بذلك خارجاً على إرادة الله ، ولا يمكن للمسيحي الرضى بما هو مخالف لإرادة الله ، ويبقى أن تكون وسائل التعبير عن الرأي أو الاحتجاج موضوعية ولا تنحرف نحو الشخصانية وبدون تجريح في أشخاص ، فقد أوصى الكتاب المقدس قائلاً :"لا تسب الله ولا تلعن رئيساً في شعبك " (خروج 22 : 28) ، وقد قال أيضاً :"لا تسب الملك ولا في فكرك ..." (جامعة 10 : 20) .

أما وإذا أخفق التنديد فالتظاهر السلمي أو المقاومة السلبية قد تكون الخطوة التالية ؟، إن الهدف من هذه الحركة هو تحذير الحكم من الحالة المتردية التي أشرفت عليها البلاد . فالمسيحي يبذل كل جهد ممكن لتفادي كل ثورة دموية باستخدام وسائل شريفة فعالة ، لأن كل ثورة تسفر عن سفك دم وحقد . وغالباً ما تحطم الثورة أكثر مما تبني . لهذا يسعى المؤمن لأن يكون قوة مصالحة عاملة على إزالة أسباب الثورة للحيلولة دون نشوبها وللمحافظة على العدالة والنوايا الطيبة في حالة حدوثها .

إن من حق كل مؤمن مسيحي ناضج أن يعمل على تطوير نظام اجتماعي صالح يرعى حقوق الأفراد بالتساوي ، وينمي روح المسؤولية في نفوسهم .

وإذا لم تجد المقاومة السلبية نفعاً فمقاطعة مصالح الدولة أو العصيان المدني قد يكون أداة فاعلة في تحقيق بعض الأهداف . والعصيان المدني هو وليد قناعة فردية وليس موقفاً كنسياً رسمياً ؛ ويجب أن يتوقف خضوعنا للدولة عند الحد الذي تصبح عنده طاعتنا للدولة عصياناً لله . ففي حالة كهذه يصح تطبيق المبدأ الكتابي "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس "(أعمال 5 : 29) . ليكن المسيحي إيجابياً في تفاعله مع قضايا شعبه ، متخذاً من الطرق والقنوات الشرعية سبيلاً للتعبير عن احتجاجاته ، مهذباً في تعبيره عن موقفه حسب القيم القانونية والأخلاقية والمبادئ المسيحية .

وأخيراً ففي أقصى الحالات وبعد استنفاذ كل وسيلة سلمية قد تكون الثورة وإسقاط نظام الحكم هو السبيل الوحيد لإنقاذ البلاد من تعنت الظالم وجبروته وديكتاتوريته على أن لا تكون تلك الثورة أو ذلك الانقلاب سوى خطوة إعدادية نحو تطبيق إيجابي للقانون والعدالة .

السؤال الذي يجب على المسيحي أن يطرحه على نفسه : قبل أن يُشارك في أي شكلٍ من أشكال الاحتجاج أو الإضراب أو التظاهر ، هل هذه الاحتجاجات قائمة على مطالب عادلة ؟ وتنتصر للمظلوم والمقهور؟ أم لمكاسب شخصية أو فئوية ؟

إن الخضوع للسلطات لا يمكن أن يكون مبرراً لسلب الإنسان حقه في التظاهر السلمي ، من خلال توجه تفسيري محدد لبعض نصوص الكتاب ومنها رومية 13 ، بل إن من يحاول الانتقاص من حق المعارضة السلمية ، أو الاحتجاجات وحق التظاهر السلمي ، وهو ما تكفله الدساتير والمواثيق الدولية تحت ما يُسمى الخضوع للسلاطين الفائقة ، هو من يخالف النماذج الكتابية المتعددة التي عبرت عن رأيها ووقفت في وجه الظلم ، وانتصرت للمظلوم والمسكين ، وأيضاً يخالف العقد الاجتماعي المبرم بين الدولة والشعب طبقاً للدستور ومفاهيم الديمقراطية ، وهو الذي ينطبق عليه عدم الخضوع للسلاطين الفائقة .

موقف الكنيسة من الاحتجاجات والثورة

الكنيسة في طبيعتها كيان روحي ، كجسد المسيح ، وفي رسالتها تعلن مجد المسيح وتدعو للإيمان به ، إن الدور الأساسي للكنيسة هو مساعدة الإنسان لأن يدرك خطأه واحتياجه للغفران ، ومن ثم التوبة والتصالح مع الله .

كما أن الموقف الأخلاقي للكنيسة يجب أن يكون دائماً الدفاع عن الحريات والمظلومين ، والدفاع عن كرامة الإنسان ، لكن يبقى على الكنيسة أن تميز بين دورها ككنيسة ، ودور أعضائها كمواطنين ، فالعضو الكنسي يبقى مواطناً مع كونه عضواً كنسياً ، وهذه الثنائية تكفل الحرية للإنسان المسيحي أن يقوم بواجباته الروحية والتزاماته ، وأن يباشر كل حقوقه كمواطن يتمتع بالمواطنة ، وأن يشترك في كل ما يؤدي لرفعة وطنه ، دون الرجوع إلى الكنيسة ، ودون أن تكون الكنيسة مسؤولة عن تصرفاته ، في هذه المجالات ، إن أخطأ أو أصاب .

وعلى الكنيسة والدولة معاً ، أن يُدركا أن دور كل منهما يصب في خدمة المجتمع والصالح العام للشعب والمواطن ، فليس من مسؤولية الكنيسة حشد أعضائها وراء فكر سياسي معين ، ولا وراء نظام سياسي محدد ، ولا وراء حزب أو مرشح بعينه ، لأن هذه حقوق أساسية وأصيلة للمواطن ، كما يجب التأكيد على أن رجل الدين قبل أن يكون رجل دين ، إنما هو مواطن له حقوقه وعليه التزاماته التي يكفلها الدستور ، وحينما يعلن عن رأيه متناولاً موقفاً سياسياً أو قضية سياسية محددة أو يختار مرشحاً ليمنحه صوته ، فهو يمارس حقه السياسي بصفته مواطناً ، فلا يجب أن يؤول الأمر على أنه توجه أو توجيه للشعب ليحذو حذوه ، وعلى الدولة أن تدرك ذلك ، أما من جهة الكنيسة فعليها أن تشجع شعبها على أن يباشر ممارسة حقوقه السياسية دون أن تتدخل في اختيارته أو أن توجهه نحو المشاركة في عمل ما ، أو الامتناع عن عمل ما ، أو أن توحي له بإتباع خطة معينة أو سلوك معين تجاه الدولة ، حتى لا تكون الكنيسة مسؤولة أمام السلطان الزمنى (الدولة) عن تصرف زمني ، لأن الكنيسة مسؤولة فقط أمام الله عن تصرفاتها الروحية .

ويبقى على الكنيسة مداومة الصلاة من أجل الحكام والسلاطين والخضوع للرياسات ، ولكن ليس معنى هذا الموافقة أو التغاضي عن الظلم والقهر ، وأن صلاتنا ومحبتنا للظالم لا تتناقض مع مواجهته بظلمه وتعديه .

دعوة للمشاركة

الحقوق لا تُمنح لكنها تُنتزع انتزاعاً ، وبجميع الوسائل المتاحة ؛ هذا هو الطريق الذي اتبعته أغلب شعوب الأرض التي ثارت من أجل الحرية والديمقراطية وسيادة القانون .

ولقد كان أحمد شوقي صادقاً حين كتب :"وما نيل المطالب بالتمني .. ولكن تُؤخذ الدنيا غلاباً" ، فإذا كانت الحقوق لا تمنح ، فإن المطالب لن تُنال بالتمني ، والتنظير العقلي والمنطقي والفلسفة النظرية ، لأنها ستبقى حينها أمانٍ تفتقر للآليات التي تحولها إلى واقع عملي مُعاش ، وتبقى المشاركة (المجتمعية والسياسية والاقتصادية وغيرها) الرافد الأول على طريق نيل المطالب ، وانتزاع الحقوق .

وما يقصد بالمشاركة هو مساهمة كل فرد من أفراد المجتمع في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بهدف المشاركة في صنع السياسات العامة واختيار القيادات التي تعمل على تحقيق تلك السياسات حتى تعود بالنفع والإيجابية على حياة المواطنين والمجتمع .

كما تُعد المشاركة في الحياة السياسية ، هي العصب الحيوي لممارسة الديموقراطية وقوامها الأساسي ؛ والتعبير العملي الصريح لسيادة قيم الحرية والعدالة والمساواة في المجتمع ؛ فضلاً عن كونها مؤشراً قوياً إلى مدى تخلف المجتمع ونظامه السياسي أو تطورهما ، وفي ضوء ذلك تصبح المشاركة هي حجر الزاوية في النظام الديموقراطي .

ـ **أهمية المشاركة :** فضلاً عن كون المشاركة في الحياة العامة بوجه عام والسياسية بوجه خاص ، معياراً لنمو النظام السياسي ومؤشراً على ديموقراطيته ، ووسيلة لتنمية المجتمع ، فإن أهمية

المشاركة في الحياة العامة تتمثل في عدة أمور وفوائد تصب في مصلحة الشخص المُشارك ، والمجتمع معاً .

فعلى المستوى الشخصي تُنمي المشاركة لدى المواطن الشعور بالكرامة والقيمة والأهمية السياسية والاجتماعية ، فضلاً عن الشعور بالانتماء للكيان العام ، ودعم العلاقة بين الفرد ومجتمعه ، كما تزيد المشاركة من الإحساس بالمسؤولية الشخصية تجاه المجتمع ، أما على المستوى المجتمعي ، فإن المشاركة تأتي بأعظم النتائج لأكبر عدد من الأفراد ، إذ أنها تدفع النظام للاستجابة لمطالب أفراد المجتمع .

كما تؤدي المشاركة إلى مزيد من الاستقرار والنظام في الحياة المجتمعية ، ومن خلال زيادة الوعي بالتحديات التي تواجه النظام سواء داخلياً أو خارجياً ، يتحمل المواطنون مسؤوليات إضافية تُسهم في مواجهة تلك التحديات ، وتفتح أفاق المشاركة والتعاون البناء بين المواطنين والنظام بالأفكار والتوجهات الخلاقة والعملية ، والحرص على المال العام والمشروعات العامة ، والرغبة في الدعم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لأركان المجتمع .

والإنسان المسيحي بصفته مواطناً ، يعيش هموم وتحديات مجتمعه ، ليس بعيداً عن مجال المشاركة في الحياة العامة ، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

لقد كانت صلاة المسيح :"لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير" (يوحنا15:17) ، فلقد صلى المسيح أن نكون في العالم ، ونحيا وسطه ، لا أن نؤخذ منه أو أن ننعزل عنه ، كان المسيح يُدرك ما قد نواجهه في العالم ، لكنه مع ذلك سأل ألا نؤخذ من العالم بل أن نُحفظ من الشرير ، لذلك فنحن كمسيحيين مدعوون للتفاعل الإيجابي مع العالم من حولنا ، وبخاصة مجتمعنا الذي نعيش خصوصيته ، لنكون مشاركين في تغييره نحو الأفضل .

ـ لاهوت المشاركة : تأتي القيم التي تُشكل الحياة المسيحية بصفة عامة ، وحياة المسيحي بصفة خاصة ، من كلمة الله ، الكتاب المقدس ، وبقراءة سريعة لما جاء في طليعة سفر التكوين نستلهم من خلالها بعض الأسس اللاهوتية التي تستدعي ضرورة أهمية المشاركة الاجتماعية والمجتمعية للإنسان لتطوير مجتمعه والرقي بأساليب ووسائل الحياة الإنسانية .

1)<u>التميز الذي ينفرد به الإنسان عن سائر مخلوقات الله :</u> لقد خلق الله جميع الكائنات ورأى أن كل ما صنعه أنه حسن جداً ، لكنه عندما خلق للإنسان ميزه تميزاً خاصاً عن كل خلائقه ، فخلق الله الإنسان على صورته كشبهه ، هذا الإبداع الإلهي ، والتميز الإنساني ، جعل الإنسان مختلفاً عن سائر مخلوقات الله ، فهو على صورة الله ، وكشبهه ، لذا جاء الإنسان بقدرات وإمكانيات ومواهب تعكس شيئاً من طبيعة الله ، كما أن صورة الله في الإنسان تتضمن قدرة الإنسان على التجاوب والتفاعل مع الآخرين ، لقد خلق الله الإنسان عاقلاً ، حراً ، مسؤولاً ، فإذا انتهكت حقوق إنسان في مجال أو رقعة أو زمن ما ، فإن مسؤولية الإنسان أمام الله هي أن يدافع عن كرامة أخيه الإنسان دون النظر إلى الاختلافات العرقية أو الدينية أو الجنسية ، ويعمل على استعادة حقوق الإنسان

المسلوبة والمغتصبة ، ويُرسي العدل والعدالة الاجتماعية والمساواة ، فيحقق بذلك صورة الله التي ميزه بها عن سائر المخلوقات .

2)الإنسان وكيل إدارة خليقة الله : لقد منح الله الإنسان الحرية والمسئوولية والقدرة العقلية والمواهب والإمكانيات الذاتية ما جعله مؤهلاً لأن يأخذ سلطة وتفويضاً من الله لإدارة خليقته ، فقال الله :"نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض " (تكوين 1: 26) ، لقد خلق الله الإنسان من العدم وفوضه لإدارة شؤون الكون وأقامه مسؤولاً عن رعاية الأرض وما حولها ، فالإنسان مسؤول مسؤولية مباشرة عن تنظيم الحياة لتكون الأفضل للإنسانية ، وإن كان من خصوصيات تلك المسؤولية استثمار وتنمية الموارد الطبيعية للأرض ، فكم تكون مسؤوليته عن استثمار وتنمية الموارد البشرية ، واحترام حقوق الإنسان تاج الخليقة ، هذه الأساسيات والمسؤوليات لن تتحقق بعزلة الإنسان وتنحيه أو ترفعه عن المشاركة الاجتماعية والمجتمعية في محيطه الجغرافي والزمني

3)الإنسان كائن مجتمعي : ليس الإنسان مجرد "شخص في علاقة" ، بل فرد مميز ومتفرد الصفات ولقد عرف توما الإكويني الإنسان إنه :"كائن سياسياً واجتماعياً" . فالإنسان كائن اجتماعي طبعاً ووجوداً ؛ ومن خلال العلاقة بالآخر ، يتجاوز الإنسان "عدم كفايته" ليكتمل في الآخر ، والإنسان يؤنسن ذاته من خلال العيش وسط مجتمع ، ومن خلال علاقته بالآخرين ، وعطائه ودعوته للآخر.

وفي إطار الحياة المجتمعية التي يحياها الإنسان ، فإن المسيح وضع قاعدة ذهبية تُشكل عصب تلك العلاقة التي يجب أن تحكم علاقة الإنسان في مجتمعه ، يقول المسيح :"فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم "(متى 7 :12) ، فهذه الآية تتحدى الأفعال والسلوكيات السلبية تجاه الآخرين ، وتنطلق إلى أخذ المبادرة للأعمال الإيجابية والصالحة للآخرين ، فعلينا أن نتجسد للعالم والمجتمع الذي نحيا وسطه ، عبر مشاركتنا للإنسان الآخر وتحريره من القهر والتعدي والظلم والجور ، يقول الكتاب المقدس :"افتح فمك لأجل الأخرس في دعوى كل يتيم ، افتح فمك اقض بالعدل وحام عن الفقير والمسكين" (أمثال 31 : 8 ، 9) .

4)حرية الإنسان مقابل المسؤولية الشخصية : خلق الله الكون بكل ما فيه وأعطى للإنسان حرية الإرادة لأن يختار ويقرر ما يشاء فالإنسان حر الإرادة والضمير ولكنه مسؤول أمام الله عن جميع تصرفاته .

المسؤولية والحرية لا ينفصلان ، فالأشخاص الأحرار في اتخاذ قراراتهم والتصرف بموجبها هم الوحيدون القادرون على تحمل المسؤولية عن هذه التصرفات ، إن المسيحي مدعو لممارسة الحرية التي لابد وأن تكون نابعة من شعور عميق بالمسؤولية تجاه الله والمجتمع .

ـ أساليب المشاركة : تتنوع أساليب المشاركة في الحياة العامة ، الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية ، لكننا سنحصر هنا فقط بعض أساليب المشاركة في الحياة السياسية ، ومنها أنشطة تقليدية وغير تقليدية .

1)الأساليب التقليدية للمشاركة : أبرز ملامح الأساليب التقليدية للمشاركة ، متابعة الأخبار السياسية والاشتراك في حلقات نقاش وإبداء الرأي حول الموضوعات السياسية التي تشغل بال العامة ، حضور الندوات والمؤتمرات العامة ، والتي تهتم بالشأن السياسي خاصة ، الانضمام للأحزاب السياسية ، والانخراط في أنشطة جماعية تتعلق بالسياسة ، الترشح لمناصب عامة وسياسية ، التصويت في الانتخابات .

ويعتبر التصويت في الانتخابات من أشهر الطرق التي يُعبر الإنسان من خلالها عن مشاركته في العملية السياسية ، وتزداد قيمة تلك العملية في البلدان التي تمارس الحياة الديمقراطية الحقة ، فيأتي التصويت تعبيراً عن إرادة الناخبين ورغبتهم الحقيقية ومشاركتهم الفعلية في اختيار ممثليهم في الحياة السياسية ، أما في النظم غير الديمقراطية فإنها تشجع أيضاً مواطنيها على المشاركة السياسية عبر التصويت في الانتخابات ، رغبة منها في إظهار أن ممارستها الانتخابية تأتي بأسلوب ديمقراطي ويؤكد الدارسون أن هناك علاقة طردية بين مشاركة المواطنين في الإدلاء بأصواتهم ومعرفتهم بمدى احترام أصواتهم وتأثيرها على مستقبل العملية السياسية ، لذا فإن الامتناع عن التصويت في الانتخابات قد يكون مؤشراً أو نوعاً من الاحتجاج الصامت الذي يلجأ إليه جمهور الناخبين .

2)الأساليب غير التقليدية للمشاركة : بعض هذه الأساليب قانوني مثل اللجوء للشكوى عبر القنوات الشرعية ، وبعضها يعتبر قانونياً في دولة وغير قانوني في دولة أخرى ، ومنها الاحتجاجات والتظاهرات والإضرابات والاعتصامات وغيرها .

وتبقى المشاركة تكليفاً والتزاماً مسيحياً ، هذا التكليف الذي أطلقه المسيح حينما قال :"أنتم ملح الأرض ... أنتم نور العالم "(متى 5 : 13 ، 14) ، فكيف يُملح الملح الطعام مالم يذب فيه ، وكيف يُضئ النور العالم مالم يوضع وسط الظلمة فينيرها ويقشعها ، ولقد اتسقت حياة المسيح دائماً بما علمه ، فلم يكن يوماً صاحب نظريات أو واضع تعاليم لا يحياها ، بل عاش ما علم به ، كان مواطناً صالحاً يُشارك هموم مجتمعه ، يُعبر عن رأيه ، يدفع ما عليه من استحقاقات للدولة ، لقد كانت حياة المسيح نموذجاً يُحتذى به ، ليس لكل مسيحي فحسب ، بل لكل إنسان يريد أن يحيا المواطنة والالتزام المجتمعي نحو مجتمعه ووطنه .